الهدي الملائم في الرياح والولائم

إعداد

د/ عبدالمحسن القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي

المملكة العربية السعودية - الرياض طريق الملك فهد بين شارعي التلفزيون والخزان

ص.ب: ٦٣٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٤٢ هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس: ٤٠٣٢١٥٠

جدة: هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ فاكس: ٦٣٣٢١٩١

موقعنا على الإنترنت: www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

الأسرةُ أساس المجتمع، منها تتفرع الأمم والشعوب، ونواةُ بنائها الزوجان، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣]. والشريعة مبناها على الحِكم ومصالح العباد، دعت الشباب لإعفاف أنفسهم بالزواج، قال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصيام؛ فإنه له وجاء» [متفق عليه].

اختيار الزوجة والسؤال عنها

حثَّ الدين على اختيار الزوجة الصالحة ذات الخُلق الراقي والتعامل الهادي، لا ترفع صوتاً ولا تؤذي زوجاً.

والسؤالُ عن حالِ الخاطب والمخطوبة أمرٌ لازم لبيان ما قد يخفى في أحدهما من مثالب قادحة، وعلى المسؤول الصدقُ في الجواب والبيانُ بكل وضوحٍ وأمانة لإبداء خوافي المحاسن والمساوئ، وكتمانُ معايبِ أحدهما عند السؤال ضربٌ من الغش للمسلمين.

وإذا عزم الخاطبُ على الخطبة أبيحَ له النظر إلى مخطوبته بحضور محرمها ودون خلوة بها، من غير تدليس عليه في زينة أو تجمّل، يقول المصطفى ﷺ: «إذا خطب أحدُكم امرأةً فلينظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينهما» [رواه مسلم].

المخطوبة أجنبية عن الخاطب

وليحذر الخاطب قبل العقد الخلوة بمخطوبته أو الحديث معها بهاتفة الاتصال أو إلباس المخطوبة خاتماً، أو مسَّ جسدها أو الخروج بها من دارها، فإنَّ ذلك من المعاصي وركضةٌ من الشيطان يغوي بها الخاطبين، وكثيراً ما تتبدد أحلامُهما بتلك السيئات.

أعظم النساء بركة

والإسلامُ دين عدل وقصد، أمر الشباب بالزواج، وحث على تيسير مهره، وإذا قلَّ المهرُ علتَ المرأة وشرُفت عند الزوج مكانتها وزادت بركُتها، يقول عليه الصلاة والسلام: «أعظم النساء بركةً أيسرهن مؤونةً» وأثرياء الصحابة لم يغالوا في مهورهم، يقول عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ: تزوجت على وزنِ نواة من ذهب، ولما علم النبي ﷺ عن صداقه قال له: «بارك الله لك»

والمهر حقٌّ للمرأة لا يجوز للآباء أو الأولياء اختصاصهم به، قال سبحانه: ﴿ وآتُوا النِّساء صدُقاتهنَ نحلة ﴾ [النساء: ٤].

عورة المرأة عند المرأة

وجمالُ المرأة في سترِها، وبهاؤها في حيائها، ورونقها في عفافِها، والإسلامُ جاء آمراً بستر المرأة، وبعضُ النساء يقعن في المحرمات في مواطنِ فرح، فتجوز لنفسها ما ضاق من الملبس، وأخرى تلبسُ ما رقَّ منه مما لا يستر جسدها، ومنهن من تُبدي شيئاً من ساقها وفخذها، ومنهن من لا تستر أعلى جسدها، يزين لهن الشيطان سوء عملهن.

والمرأةُ لا يحل لها أن تبدي للمرأة إلا ما أبيح كشفه أمام محارمها من الرجال مما جرت العادةُ بكشفه في دارها من الرأس واليدين والعُنق والقدمين، ولا تبدي المرأة عند النساء أكثر من ذلك.

ومن النساء من تكشِف عورتها لامرأة أخرى لإزالة خوافي شعر جسدها، وهذا منكرٌ غليظ، فيه اطلاعٌ على العورات وخديعةٌ للزوج وضياع لحقِّه في غيبته، عليها تهديدٌ من رب العالمين، يقول عليه الصلاة والسلام: «**أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت سترها فيما بينها وبين الله**» [رواه الحاكم].

التباهي في الملبس

والدين وسطٌ في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، يُعلن النكاحَ ولا يقع في المحذور، ومن النساء من تتباهى في زينةِ الملبس والتبرج والتجمل، تبدِّد الأموال وتهدر الأوقات بشهرةٍ زائفة أو رياء ممقوت.

واحذري ـ أيتها المرأة ـ من الخُيلاء في الملبس، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**بينما رجلٌ يمشي في حلّةٍ تعجبه نفسُه مرجلٌ رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» [متفق عليه].

تشبه المرأة بالرجال والكافرات

والمرأة المسلمةُ متميزة بزينتها وملبسها وشعرها، بعيدةٌ عن تشبهها بالرجال أو غير المسلمات، وتشبُّهُها بغير جنسها يعرضها للوعيد، فقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال، ولكل جنسٍ من الرجال والنساء خصائصه وأحواله وملبسه وزينته. المرأة تفخر بأنوثتها، والرجل يعتز برجولته، وفي التقليد ضعفٌ في النفس وعدمُ رضا بالخصائص ونقصٌ في إدراك حكمةِ الخالق.

خطر إزالة الحواجب

وحواجبُ العينين زينةٌ من رب العالمين، وبعضُ النساء تعمد إلى إزالة بهاء وجهها وجمال عينيها بنتفِ حواجبها، وقد لعن الله من أزالت شعر حاجبها، يقول النبي ﷺ: «**لعن الله الناصمة والمتنمصة**».

الزفة

وبعض الناس لضعف في النفس مولع بالتقليد، يضاهي غيره حتى في أفراحه، والرجل محرم عليه رؤية المرأة الأجنبية في النكاح وغيره، ودخول الزوج ليلة الزفاف على النساء الأجانب وجلوسُه على علوٍّ مع زوجته وهو يتطلع إلى نساء

المسلمين بكامل زينتهن منكرٌ رذيل، يقول النبي ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» [متفق عليه].

وجلوسُ الزوج مع زوجته أمام النساء تقليدٌ مقيت، دافعه الهوى، وظاهره الخُيلاء، وثمرتُه الشقاء، فما حالُ الزوجين أمام النساء وهن ينظرن إليهما؟! والناظر للزوجين من الحضور ما بين شامت في الخِلقة، وما بين حاسد على النعمة، تقول فاطمة ـ رضي الله عنها ـ: (خير للمرأة أنْ لا ترى الرجال ولا يراها الرجال).

وإرخاء ذيلٍ طويل يُحمل خلف الزوجة ليلة زفافها تشبهٌ بغير المسلمين، حرامٌ عليها فعلُه.

الأغاني

والمعازف والغناءُ لا تدني من الرب، ومن أسباب قسوةِ القلب، حجابٌ كثيف عن الرحمن. وما يفعله بعضُ الناس من المعازف ليلة النكاح جحودٌ لنعمة الله وعصيانٌ له، ومن السرف استئجار عازفة للغناء لعصيان ربِّ العالمين في دُجى السَّحَر زمنِ نزول العظيمً جل جلاله إلى السماء الدنيا، والعُبّاد في محاريبهم.

والمسلمُ حرامٌ عليه حضورُ مناسبة فيها منكر، يقول الأوزاعي ـ رحمه الله ـ: «لا تدخل وليمةً فيها طبلٌ ومعازف».

وفي أحكام الإسلام غنيةٌ عن الحرام، وديننا أباح ضرب الدفّ للنساء خاصة في وقت من الليل بكلام لا محذور فيه.

التصوير

والتصوير من كبائر الذنوب، موجبٌ للعنة والغضب، قال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله المصورين والمصورات» والمصور أشد الخلق عذاباً، قال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون» [متفق عليه].

وتصويرُ النساء يجني مفاسد وخيمة، وقد تسري صورُ

النساء إلى غير المحارم من الرجال، فتنهار بذلك بيوت، والأبُ اللبيب من يمنع زوجته وبناته من ورود أماكن التصوير.

الإسراف في المأكل

والعدلُ في المأكل والمشرب وعدم البذخ فيه دأبُ الفضلاء، سنةُ خيرِ البشر، تصف صفيّة ـ رضي الله عنها ـ وليمتَه بقولها: أولم النبي ﷺ على بعضِ نسائه بمدَّين من شعير.

ومن مجانبة الصواب أن تكون مبذِّراً في الزواج، شحيحاً في البذل في أوجُه الخيرات.

وتكرار ولائم مناسبات النكاح في ظاهرها أفراح، وفي حقيقتها على الزوج أتراح، للخطبة وليمةٌ، وفي يوم إلباس المخطوبة خاتماً من قِبل خاطبها مأدبة، ومس يدها محرم، وليلة عقد النكاح دعوة، وفي ليلة الزفاف مآكل ومشارب متنوعة، إرهاقٌ لمؤونة الزوج، هل من يسعى لبناء بيت زوجية مُحاط بالستر والعفاف تُستنزف أمواله أم تخفف عنه الأعباء لإضافة لبنة صالحة في المجتمع؟! والاكتفاء بوليمة واحدة ليلة الزفاف أحبُّ للزوجين وأسلم وأكملُ وأوفق.

السهر

والله عز وجل جعل الليل لباساً والنوم سُباتاً، والنبي ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها. متفق عليه.

ولحظات الفرح يُظهر التعبير عنها من غير سهر فاحش، وإعلانُ النكاح لا حاجة إلى امتداده إلى السَّحر، وساعاتٌ في الليل غنيةٌ عن جميعه.

المعاصي تهدد الزوجين بالطلاق

وبعد: أيها المسلمون، فمن أسس بنيانه على التقوى أزهى وأربى، ومن أحاطه بالمحرمات أذن بحلول الشقاء، والزوجان يستويان في لظى العصيان ليلة زفافهما، يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلُق

امرأتي ودابتي».

والمرأة الحاذقة لا تزلزل بيتها بمعصية الله أول ليلتها، فالذنوب تعسر الأمور، وتوحش القلب بين الزوجين، وكلما كان الزواج أقرب إلى الصواب كان أحرى بالتوفيق.

وجملة المخالفات في النكاح داعيها عُقدة الشعور بالعجز والنقص، وبعضُ الناس قد لا يدرك حقيقة النكاح، يظن أن من مستلزماته البذخ والتفنن في المآكل والتباهي في الملابس، وليس الأمر كذلك، بل النكاح عقدٌ موثق غليظ بين زوجين لا يُشاب بخطيئة ولا يعرض للانهيار بمعصية.

واجب الرجال

وعلى الآباء أن لا يُرخوا العنان للنساء لارتكاب المعاصي بما يزيد النكاح عقبات. والمرأة مستضعفةٌ، إن لم تُؤخذ بيد وليها جنحت مع نفسها لهواها، وعلى النساء الإذعان لأوامر الله وعدمُ الوقوع في المحرمات، وعلى المرأة أن تشتغل بمعالي الأمور لإصلاح قلبها في طاعة ربها، فموطنها أمٌ وراعية أسرة وموجهة، ينبغي أن تُعلي من فكرها، وترقى باهتماماتها، فاليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل.

الزواج المبارك

أيها المسلمون: الإسلامُ وهو منبع الحضارة والسُّؤدد، والتمسك به يثمر الرُّقي والتقدم، يبني الأمم، وينشىء الأجيال بأمثل السُّبُل، يسَّر مسالك النكاح ودروب المودة بزواج سعيد يبهج الزوجين وأهلهما، ويسرُّ المجتمع بأكمله.

يختار الزوج امرأة ذات دين وخلق راق وأدب رفيع، وإذا تقدم خاطبٌ كفءٌ متسمٌ بالدين والخُلق لم يردّ، وبعد استشارة لذوي النهى واستخارة وعزمٍ على الاختيار يرى الخاطبُ مخطوبته بحضور محرمها. ومع انشراح صدر وتوكُّل يُعقد النكاح، وليلة الزفاف فرحٌ معتدل، لا مباهاة فيه ولا مفاخرة،

يُعلن فيه النكاح ويدعى إليه ويصنع طعامٌ بقدرهم، لا إسراف فيه ولا تبذير، وتُزفّ المرأة إلى زوجها، والمرأة الواعية ذات العقلِ الراجح والروح السامية تسعى إلى منعِ المحرم في زواجها لعلمها أن المعصية لها أثرٌ على حياتها مع زوجها. والإسلامُ يسَّر النكاح وسهل أبوابه على الشباب، النبي ﷺ تزوج صفية وهو في سفر، يقول أنس ـ رضي الله عنه ـ : حتى إذا كان بالطريق جهَّزتها له أم سليم، فأهدتها له في الليل، فأصبح النبي عروساً.

أحزان العنوسة

ومن قبائح الصنائع تأخيرُ الأب تزويج ابنته مع تقدُّم الكفء لها، أو حجرها على ابن عمها، واعلم ـ أيها الأب ـ أن ابنتك مستضعفة في دارك، منعها حياؤها من إبداء مكنون نفسها، تصبح أسيفةً وتمسي حزينة، تتألم من دخول بوابة العنوسة، والمرأةُ زهرة لها زمن قصيرٌ ثم تذبُل، ومن الهدي القويم تزويجها في سنّ مبكرة، ولا غضاضة في عرض الرجل ابنته أو أخته على الرجل الصالح، وهذا من تمام الرعاية والقيام بالولاية، وعمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ عرض ابنته حفصة على عثمان فردها وما غضب، فعرضها على أبي بكر فردها وما أيس، فعرضها على النبي ﷺ فتزوجها. رواه البخاري.

ومنعُ الآباء الخاطب ذا الدين والخُلق مخالفٌ لأمرِ الشريعة، يقول النبي ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد عريض»** [رواه الترمذي].

فالرشد في اتباع الهُدى، واللّبيب من رجا السعادة من أبواب الطاعة.

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤ كتيبات + ٤ كتيبات جيب + ٤ مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة